التعقيد معيارا نقديا عند الحضرمي (ت٩٧٥هـ) في كتاب تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب

Complexity is a critical criterion according to Al-Hadhrami (D.975A.H.) in the book "Tanbih Al-Adib" on what is in the poetry of Abu Al-Tayyib from the good and the defective

أحمد طاهر رشيد
د. محمد عادل البياتي
أستاذ مساعد
جامعة الموصل–كلية التربية للعلوم الإنسانية

Ahmed Taher Rasheed
Dr. Mohammad Adel Al-Bayati
Assistant Professor
University of Mosul -College of Education for Human Sciences

ahmad.taher.rasheed@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٢/٩/٦ **تاريخ القبول** ٢٠٢٢/٩/٢٦

الكلمات المفتاحية: التعقيد، الحضرمي، المتنبي، الحذف، النظم

Keywords: complexity, Hadhrami, Al-Mutanabbi, deletion, systems

الملخص

التعقيد من شروط فصاحة الكلام، وقد حدد البلاغيون العرب شروطا للفصاحة، ومما يخلّ بهذه الشروط هو التعقيد والمقصود بالتعقيد هو: تأليف الكلام على وجه يعسر فهمه لسوء ترتيبه وهو التعقيد المعنوي وفي بحثنا هذا وقفنا عند التعقيد لدى ناقد وبلاغي هو عبد الرحمن بن عبد الله باكثير الحضرمي (ت٩٧٥هـ)، صاحب كتاب (تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيّب من الحسن والمعيب)، وعني الحضرميّ بالكشف عن هذا العيب الذي وضع فيه الشاعر (المتنبّي) سواء أكان التعقيد بسوء النظم أو المعاظلة في الكلام في التقديم والتأخير أو بالحذف من غير ضرورة، وقد استقصى الحضرمي التعقيد في شعر المتنبّي وبيانه، ثم حاولت الدراسة استقصاء التعقيد عند نقّاد وبلاغيين آخرين معززين بها رأي الحضرمي كابن طباطبا، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني والقزويني وغيرهم.

Abstract

Complexity is one of the conditions for eloquence, and Arab rhetoricians have identified conditions for eloquence, and what violates these conditions is complexity. What is meant by complexity is: composing speech in a way that is difficult to understand due to its poor arrangement, which is moral complexity. Al-Hadhrami (D. 975 A.H.), author of the book (Al-Adib Al-Adib on what is in the poetry of Abu Al-Tayyib from the good and the defective), and Al-Hadhrami wanted me to reveal this defect in which the poet (Al-Mutanabbi) put it, whether the complexity was due to poor arrangement or disputes in speech in the introduction and delay or by deletion without Necessity, has been investigated Al-Hadhrami's Complexity in Al-Mutanabbi's Poetry and His Statement, then the study attempted to investigate the complexity of other critics and rhetoricians, reinforcing the opinion of Al-Hadhrami, such as Ibn Tabataba, Ibn Rashiq Al-Qayrawani, Abdul-Qaher Al-Jurjani, Al-Qazwini and others.

المقدمة

يعد وضع المعايير الضابطة لأي عمل الخطوة الأساس لضبط منهجيته وضمان دقة نتائجه، ولا سيما إذا كان هذا العمل نقديا تترتب عليه نتائج عند تطبيقه، وقد التزم الحضرميّ بهذا المبدأ في كتابه تنبيه الأديب؛ إذ وضع في المقدمة المعايير التنظيرية التي ستضبط عمله التطبيقي، وقد قسّم تلك المعايير إلى: معايير فصاحة الألفاظ، ومعايير فصاحة التراكيب.

وجعل الحضرميُّ (التعقيد) واحداً من معايير فصاحة التراكيب التي تعرف بها (محاسن الشعر ومعايبه)[١]، فضلا عن معايير أخرى، وسنركز في بحثنا هذا على هذا المعيار وتعامل الحضرمي معه تنظيراً وتطبيقاً، مع الحرص على عرض ما وثّقه الحضرمي في كتابه على التراث النقدي السابق له؛ بغية الوصول إلى تقويم موضوعي لمنزلة الكاتب وكتابه من حيث الإبداع والاتباع.

(١) تنبيه الأديب: ٥٧.

التعقيد: عقد: العَقْد: نَقِيضُ الحَلِّ، عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْداً وتَعْقاداً وعَقَّده، واعتَقَدَه، وانعَقَد وتعَقَّدَ[١]، والمراد بالتعقيد حسب قول الحضرمي: "أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المراد، لخلل في النظم، بسبب تقديم أو تأخير أو حذف، أو غير ذلك، مما يوجب صعوبة فهم الكلام".[٢]

وقد تحدث النقاد الأوائل عن التعقيد كبشر ابن المعتمر (ت٢١٠هـ) الذي قال: "إياك والتوعّر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك"[٣]

وفي حديث المبرّد (ت٢٨٥هـ) عن ابعد المعاني وأقبح الضرورة وأهجن الألفاظ ذكر بيت الفرزدق في مدح خال هشام بن عبد الملك يقول فيه:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

"وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملّك أبو أم هذا المملَّك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير".[٤]

وذكر ابن السَّراج (ت٣١٦هـ) أنَّ بيت الفرزدق "مما جاءَ كالشاذِّ وهوَ وضعُ الكلام فِي غيرِ مَوضعهِ وتغيير نضده"[٥]، لما فيه من تعقيد، وتحدث ابن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ) عن الأبيات المستكرهة الألفاظ، وذكر بيت الفرزدق أيضاً لما فيه من تعقيد وتقديم وتأخير وقال عنه: " فهذَا من الكَلامِ الغَثِّ المُسْتكَرَهِ الغَلِق".[٦]

وممن تكلّم عن هذا المعيار القاضي الجرجاني حيث قال في موضع دفاعه عن أبي الطيِّب: "ولو كان التعقيدُ وغموضُ المعنى يُسقطان شاعراً لوجب أن لا يُرى لأبي تمام بيت واحد؛ فإنا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيتٍ أو بيتين قد وفَر من التعقيد حظهما؛ وأفسد به لفظهما".[٧]

---

(١) لسان العرب: (عقد).

(٢) تنبيه الأديب: ٥٧.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ: ١٢٩/١.

(٤) الكامل في اللغة والأدب: ٢٨/١.

(٥) الأصول في النحو: ٤٦٧/٣.

(٦) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي: ٧٢.

(٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤١٧.

وتوسّع العسكري في الحديث عن التعقيد فقال: والتعقيد، والإغلاق، والتقعير سواء، وهو استعمال الوحشيّ، وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض؛ حتى يستبهم المعنى".(١)، وتحدَّث عن سوء النظم فقال: "فمن سوء النّظم المعاظلة، وقد مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهيرا لمجانبتها فقال: كان لا يعاظل بين الكلام".(٢)

وفصّل عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) القول عن التعقيد فقال: "وأمّا التعقيد، فإنما كان مذموماً لأجل أن اللفظ لم يرتَّب الترتيبَ الذي بمثله تحصُل الدَّلالة على الغرض، حتى احتاج السامع إلى أن يطلبَ المعنى بالحِيلة ... وإنما ذُمَّ هذا الجنس، لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله، وكَدَّكَ بسُوء الدَّلالة وأودع لك في قالب غير مستوٍ ولا مُمَلَّس، بل خشِنٍ مُضرّس حتى إذا رُمْتَ إخراجَه منه عَسُر عليك، وإذا خرج خرج مُشوَّه الصورة ناقصَ الحُسن".(٣)

وتحدّث السكّاكي عن التعقيد وجعله في باب الفصاحة وقال: "والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك على المعنى، ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك على أن لا تدري من أين تتوصل وبأي طريق معناه يتحصل"(٤)، وذكر قول الفرزدق أيضاً.

وتبعه القزويني في حديثه عن التعقيد فقال:" هو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به وله سببان: أحدهما ما يرجع إلى اللفظ وهو أن يختل نظم الكلام. ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ... فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي ما سلم نظمه من الخلل، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك ... والثاني ما يرجع إلى المعنى، وهو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني –الذي هو لازمه والمراد به– ظاهرًا".(٥)

ومن الأبيات التي انتقدها الحضرمي جامعاً فيها كل العيوب في قول المتنبي:

لو لم تكن من ذا الورى اللذْ منك هُوْ عَقِمَتْ بمولِدِ نَسلِها حَوَّاءُ(٦)

---

(١) الصناعتين الكتابة والشعر: ٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٢.

(٣) أسرار البلاغة: ١٤٢.

(٤) مفتاح العلوم: ٤١٦.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ١/٣١-٣٣.

(٦) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ١/١٥٥.

فيقول: "هذا البيت سيئ النظم، متكلف، فيه تعقيد وحذف وتقديم وتأخير وحشو، وسوء أدب، وتهوّر، كما يظهر من حل معناه، فقوله: (اللّذْ) -بتسكين الذال- هي (الذي) بحذف الياء لغة فيها ... ولم يميِّز بين الأنبياء والملوك والأشراف، ولا يخفى ما في هذا من سوء الأدب والتهور المفضي إلى المحذور... واستعانة الشاعر بلفظ (ذا)، وبأخواتها من ألفاظ الحشو معيب".(١)

وهذا الخلط في الأحكام من غير تفصيل لكل منها يعد من أهم المآخذ على الحضرميّ، فضلاً عن أحكامه الأخرى المختصرة غير المعللة.

وأورد الحضرميّ أمثلة كثيرة عن استعمال لفظ ذا في شعر المتنبي وذكر نقد ابن جنّي له: " قُلت لأبي الطيب في بعض ما كان يجري بيني وبينه: إنَّك تستعمل لفظ: (ذا) و (ذي) في شعرك كثيراً !! ، فأمسَكَ عن ذلك، ولم يجب".(٢)

وفي نهاية حديثه عن البيت أعلاه وبعدما ذكر أمثلة كثيرة من أبيات المتنبي قال: "ولو تُصُفِّحَ في ديوان شعره لوجد فيه أضعاف ذلك من هذه الإشارة، وأنت لا تجد منها في أشعار الجاهلية، وأمَّا المحدثون فيستعملونها في أشعارهم، لكن على سبيل الندرة".(٣)

وقد وقف عدد من النقاد على هذا البيت فالصاحب يقول ساخراً: " وله وقد غاص فأخرج جند له ... وأنا أقول: ليت حواء عقمت ولم تأت بمثلهن بل ليت آدم أجفر فلم يكن من نسله"(٤)

وذكر ابن وكيع التنيسي بيت المتنبي وقال: "وبيت أبي الطيب فيه تجاوز فائق به عن الأنبياء والأشراف والصالحين"(٥)

ووضعه الثعالبي في باب استكراه اللفظ وتعقيد المعنى وقال: "وَهُوَ مِمَّا اعتل لَفظه وَلم يَصح مَعْنَاهُ فَإِذا قرع السّمع لم يصل إِلَى الْقلب إِلَّا بعد إتعاب الْفِكر وكد الخاطر وَالْحمل على القريحة ثمَّ إِن ظفر بعد العناء وَالْمَشَقَّة فقلما يحصل على طائل".(٦)

---

(١) تنبيه الأديب: ٦٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ٦٥.

(٤) الكشف عن مساوئ المتنبي: ٦٨-٦٩.

(٥) المنصف للسارق والمسروق منه: ٥٩٠.

(٦) يتيمة الدهر: ١٩٢/١.

وتحدَّث ابن رشيق عن بيت المتنبي وصنّفه في باب الحشو وفضول الكلام وقال: "ويكره للشاعر استعمال ذا، وذي، والذي، وهو، وهذا، وهذي وكان أبو الطيب مولعاً بها، مكثراً منها في شعره، حتى حمله حبه فيها على استعمال الشاذ وركوب الضرورة"(١)

وفي شاهدٍ آخر يعيب الحضرمي قول المتنبي في وصف الناقة:

فَتبيتُ تُسئِدُ مُسئِداً في نَيِّها إسآدَها في المَهْمَهِ الإنضَاءُ(٢)

فيقول: "فإنَّ فيه تعقيداً، واستكراهاً للفظ، واعتقالاً للمعنى، ومع كدِّ الفهم، وإتعابِ الخاطر، لم يظفر منه بمعنى غريب ... فانظر أيُّها المتأمِّل إلى هذا البيت، وعسر الطريق إلى فهم معناه، وصعوبة السلوك إلى تركيب معناه".(٣)

وممن وقف على هذا البيت وعابه ابن وكيع التنيسي حيث قال: "وقد جاء بمعنى غير لطيف ولفظ غير شريف وفيه من التعسف والتعجرف".(٤)

أما الثعالبي فقد وضعه في باب استكراه اللفظ وتعقيد المعنى وقال: "وَهُوَ أحد مراكبه الخشنة الَّتِي يتسنَّمها وَيَأْخُذ عَلَيْهَا فِي الطّرق الوعرة فيَضِلُّ ويُضِلّ ويتعب ويُتعِب وَلَا ينجح".(٥)

وعاب ابن حمدون بيت المتنبي بقوله: "وقد كان يكفيه في هذا البيت التكرير الذي لا فائدة فيه حتى أضاف إليه هذا التعقيد في التقديم والتأخير".(٦)

ووضعه اسامة ابن منقذ في باب العسف والتخليط، وذكر قول الصاحب: "هذا البيت يصلح أن يكون في المجسطي(٧)".(٨)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٧١/٢.

(٢) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ١٤٥/١.

(٣) تنبيه الأديب: ٦٥-٦٦.

(٤) المنصف للسارق والمسروق منه: ٥٧٨.

(٥) يتيمة الدهر، الثعالبي: ٧٣.

(٦) التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت٥٦٢هـ): ٣١٤/٧.

(٧) المجسطي: كتاب مشهور لبطليموس الفلكي اليوناني.

(٨) البديع في نقد الشعر، اسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ): ١٨١.

كما درس بيتاً آخر عاب فيه قول المتنبي:

وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قولُ العُداة بأنّ عليّاً ثقيلٌ وَصِبْ[١]

فقال: "فإنَّه جعل الوشاة تشي بسيف الدّولة عند الدُّمُستُق، والوشاية، والسعاية على الأدنى إلى الأعلى ؛ فجعل سيف الدولة الأدنى والدُّمُستُق الأعلى، وهذا من سوء الصنع في النظم".[٢]

وممن عالج هذا البيت القاضي الجرجاني حيث ذكر في باب ما عاب العلماء على أبي الطيب قوله: "فجعل الأمراء يوشَى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوّه، ويجري العدوّ مجرى بعض أصحابه؛ لا سيما إذا كان الممدوح مثل ابن حمدان والعدوّ الدُّمُستُق، وليس بسائغ في اللغة أن يقال: وشي فلان بالسلطان الى رعيته، ولو قيل ذلك في أميرين لكان قصّر بالموشى به لا محالة؛ وإنما المعروف الصحيح أن يوشَى بالأصغر الى الأكبر، فإن توسع في ذلك فبالنظير".[٣]

ووضع الثعالبي بيت المتنبي في باب الغلط بوضع الكلام في غير موضعه وقال: "فَجعل الْأُمَرَاء يوشى بهم وَإِنَّمَا الوشاية السّعَايَة وَنَحْوهَا من الرّعية وَمن شَأْن الممدوح أَن يفضل على عدوه وَيجْرِي الْعَدو مجْرى بعض أَصْحَابه وَلَيْسَ فِي اللُّغَة أَن يُقَال وشى فلَان بالسلطان إِلَى بعض رَعيته".[٤]

وقال ابن فورجة أنَّ "هذا البيت ظاهر المعنى واللفظ، إلا أن القاضي أبا الحسن ذكر في كتاب الوساطة ما هو سهو عليه في هذا البيت، فأحببت الإبانة عنه".[٥]

ثمَّ ذكر ما قاله الجرجاني، فقال: "لعمري أن كل ما أورده بدءاً وعوداً ضعيف وذلك إنه غلط في الرواية فأخذ في التَّمحل لغلطه، وقد قرأت هذا الديوان تصحيحاً ورواية بالعراق على، علماء عدة، ورواة ذات كثرة فما وجدت أحداً يروي عنه هذه الرواية ... ومعنى البيت إنَّك تأخرت عن نصرة أهل الثغور، وكان الدُّمُستق مقيماً بها يحارب المسلمين، ويغرّه إن الأعداء يرجفون بأنك ثقيل البدن عليل".[٦]

---

(١) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٢٢٩/١.

(٢) تنبيه الأديب: ٩٢.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٧٧.

(٤) يتيمة الدهر: ٢١٢/١.

(٥) الفتح على أبي الفتح: ٨٧.

(٦) المصدر نفسه: ٨٨.

أمَّا القصيدة التي مطلعها:

سِربٌ محاسِنُهُ حُرِمْتُ ذواتِها داني الصفاتِ بعيدُ موصوفاتِها[١]

فيقول الحضرميُّ: "هذا المطلع لا يخلو من تعقيد، لصعوبة فهمه وعقادة ألفاظه ... ولا يخفى ما فيه من التكلف ... وقوله: (ذواتها) فيه إضافة (ذوات) إلى الضمير، وهو لا يجوز عند سيبويه، وإن كان المبرد أجازه، والضمير في موصوفاتها يعود على الصفات، لا على السّرب"[٢].

والبيت ذكره ابن وكيع فقال: "وأوّل هذه القصيدة لحن عند سيبويه وجميع البصريين لأنهم لا يجيزون إضافة (ذو) وأخواتها إلى المضمر لأنهم لا يجيزون: ضربت ذاه يريدون صواحبه ".[٣]

وعاب العسكريُّ بعضاً من ابتداءات المتنبي فقال: "وله بعد ذلك ابتداءات المصائب، وفراق الحبائب ... فهذه وما شاكلها ابتداءات لا خلاق لها".[٤]

وقال ابن سنان الخفاجي: "ذلك مما قد فهم معناه ولم يختلف فيه إلا أنه مع ذلك لا يخرج إلا بطرف من الفكر".[٥]

وذكر الواحدي أنَّ المتنبي قد "أضاف ذوات إلى المضمر ولا يجوز ذلك عند سيبويه البتة، وأصحابه لا يجيزون أن تقول: هذا رجل ضربت ذاهُ أي صاحبه، وأجاز ذلك أبو العباس المبرد".[٦]

وقال ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ): "معنى هذا المطلع في غاية الحسن والغرابة، فإنه يقول هذا سرب حيل بيني وبين كل حسناء منه، وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول، ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة".[٧]

---

(١) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٣٤٧.

(٢) تنبيه الأديب: ١٠١.

(٣) المنصف للسارق والمسروق منه: ٧٠٦.

(٤) الصناعتين الكتابة والشعر: ٣٣٥-٣٣٧.

(٥) سر الفصاحة: ٢٢٨.

(٦) شرح ديوان المتنبي: ٨١٦.

(٧) خزانة الأدب وغاية الأرب: ٣٣٢/١.

ويضيف الحضرميُّ إلى هذا المعيار شاهداً آخر وهو قول المتنبي في المديح:

أنَّى يكونُ أبا البريةِ آدمٌ وأبوكَ والثقلانِ أنتَ محمدُ ؟![١]

ويقول: "فإنَّ فيه تعقيداً، ضعف تأليفٍ، استكراه لفظٍ، واعتقال معنى، يسببه عسر فهم معنى البيت على ما فيه من محذور !! ... فهو سيء النظم، متكلف، وليس فيه معنى غريب".[٢]

ونجد الحاتمي قد انتقد هذا البيت أيضاً فقال: "ومن المستغلق فيها قوله ... تقدير الكلام: كيف يكون آدم أبا البرية وأبوك محمد وأنت الثقلان، وربما يريد أنت الأنس والجن، وآدم واحد من الإنس، وأبوك محمد، فكيف يكون آدم أبا البرية؟ وقد فصل بين المبتدأ الذي هو (أبوك) وبين الخبر الذي هو محمد بالجملة التي هي قوله: والثقلان أنت، وهذا تعسف شديد، ومذهب عن الفصاحة بعيد".[٣]

وعابه ابن جنّي بقوله: "وفي إعراب هذا البيت تعسّف"[٤]، وكذلك عابه النامي[٥]، وهو يخاطب أبا الطيب فقال: "فأين ذهبت وفي أي ضلالة همت ومن أي قليب جهالة اغترفت هذا النوع الذي أكثرت العجب به وهو الذي أكثر التعجب منك".[٦]

وانتقد ابن وكيع أيضاً بيت المتنبي وقال: "وفي البيت كلفة وليس بلفظ مطبوع، ولا ملتذاً لمسموع، في إعرابه مطعن ... وهذه تعقيدات يحتمل ورود مثلها لبدوي لا يعرف الاختيار، ويستعمل وجوه الاضطرار، فأما المحدث المطبوع فلا عذر له في أن لا يأخذ من الكلام جوهره، ويصطفي من متخيره".[٧]

---

(١) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٦٢/٢.

(٢) تنبيه الأديب: ١١٦.

(٣) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره: ٤٧.

(٤) شرح ابن جني الكبير لديوان المتنبي: ٩١٤/١.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي هو شاعر سيف الدولة المقدم قبل مجيء المتنبي.

(٦) المنصف للسارق والمسروق منه، ابن وكيع التنيسي: ٣٥٩.

(٧) المصدر نفسه: ٣٥٩.

وكذلك عاب الثعالبي بيت المتنبي ووضعه في باب استكراه اللفظ وتعقيد المعنى، وقال: "وَهُوَ أحد مراكبه الخشنة الَّتِي يتسنمها وَيَأْخُذ عَلَيْهَا فِي الطّرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويتعب وَلَا ينجح".(١)

وقال عنه ابن سيدة: "هذا محال من القول وسفه، أي انك انت الإنس والجن، وأبوك محمد، هذا يعني أبا الممدوح، فما لهذه البريَّة وادِّعائها آدم أباها، وهذا من قبيح الضعف، وطريق السخف، وقد دخل به العقابُ في أنه لم يُحسن تأليف البيت ولم يُوفق لإقامة إعرابه، ألا ترى أنّه فصل بين المبتدأ والخبر بجملة أجنبية في قوله: (وأبوك والثقلان أنت محمد)، وموضع الكلام: أبوك محمد، والثقلان أنت."(٢)

أمّا ابن حمدون فذكر أنه فصل بين المبتدأ والخبر وقال: "هذا تعسف قبيح"(٣)، ووضعه المستعصمي في باب ما جاء من التقديم والتأخير.(٤)

ذكر المنفلوطي أن بيت المتنبي الذي قيل فيه: أنه قبيح اللفظ ولكنه جميل المعنى، هم واهمون، فهذا لا معنى له مطلقاً ويرى أنّ شعور النفس هو الميزان الحقيقي لما نسمع من الشعر، فالشعر كما يزعم كالنغمة الموسيقية، والبيت الذي يترك أثراً في سامعه يسميه من أبيات المعاني، أمّا البيت المستغلق والثقيل فلا معنى له.(٥)

وفي موضع آخر من كتابه ينتقد الحضرميّ قول المتنبي:

أهلاً بدارٍ سباكَ أغيَدُها أبعَدُ ما كان عنكَ خُرَّدُها(٦)

يقول: "وفي هذا المطلع فساد من جهة اللفظ والمعنى، من جهة اللفظ: يتوقف تمام الكلام على البيت الذي بعده، لأن جوابه فيه، وهو طلب، وهو عيب عند الشعراء، أما فساده من جهة المعنى: فلأنه إذا قال: أبعد فراقهم تهتم وتحزن كان محالا من الكلام، لأن الشيء لا يُهتمُّ به ويُحزَن له إلا قبل وقوعه لا بعده".(٧)

---

(١) يتيمة الدهر: ١/١٩١-١٩٢.

(٢) شرح المشكل من شعر المتنبي: ٥٧.

(٣) التذكرة الحمدونية: ٧/٣١٣.

(٤) الدر الفريد وبيت القصيد: ١/٤٥٨.

(٥) ينظر: النظرات: مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المَنْفَلُوطي (ت١٣٤٣هـ): ٣/١٥٠-١٥١.

(٦) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٢/١٧.

(٧) تنبيه الأديب: ١٢٠-١٢١.

نتوقف على ما ذكر محقق كتاب التنبيه في الهامش (٨٦): "ويريد المؤلف بالعيب –هنا– ما يسمونه ب(التضمين)، وهو اعتماد البيت اللاحق على البيت السابق بمتعلق لفظي أو إعرابي، كوجود إن الشرطية وفعلها في البيت الأول وتأخر جواب الشرط إلى البيت الثاني، وغير هذا، وهو نوعان، تضمين مكروه، وتضمين جائز".(١)

والتضمين: هو "أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها، كقول النابغة الذبياني:

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ، إني
شهدت لهم مواطن صالحات وثقت لهم بحسن الظن مني

وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين ... وربما حالت بين بيتي التضمين أبيات كثيرة بقدر ما يتسع الكلام وينبسط الشاعر في المعاني، ولا يضره ذلك إذا أجاد".(٢)

ورَدَ في كتاب معجز احمد أنّ قول المتنبي: "فيه ضربان من الفساد: أحدهما في اللفظ ... هو: أن تمام الكلام يتعلق بالبيت الذي بعده، وذلك عيب عند الرواة يسمونه المضمن والمبتور ... وفي المعنى: وهو أنه إذا قال: أبعد فراقهم تهتم وتحزن؟ كان محالاً من الكلام، والرواية الصحيحة: أبعد ما بان بضم الدال ... وروى قوم، أبعد ما بان بفتح الدال، على أنه حال من الأغيد ... أي أن السابي يسبي وهو بعيد ومعناه أنه أسرك بحبه، وهو على البعد منك".(٣)، وكذا عند الواحدي(٤).

وجدت أنَّ الكلام عن بيت المتنبي متشابهاً في شروحه فالمتقدم قد أخذ من المتأخر، وكذا الحضرمي قد أخذ شرح البيت من المعري ولم يشر إليه.

ووجدت أنَّ لفظ البيت في أغلب شروح الديوان كالفسر، ومعجز احمد، واللامع العزيزي، والواحدي، والعكبري، (أبعد ما بان)، وليس (أبعد ما كان)، كما جاء في كتاب التنبيه للحضرمي.

---

(١) تنبيه الأديب: ١٢١.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني: ١/١٧١-١٧٢.

(٣) معجز أحمد (شرح لديوان المتنبي)، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (ت٤٤٩هـ): ١٣-١٤.

(٤) شرح ديوان المتنبي، الواحدي: ٩٠-٩١.

ويعرض الحضرميُّ شاهدا آخر ينتقد فيه قول المتنبي:

وتُسعِدنِي في غمرةٍ بعدَ غمرةٍ سبوحٌ ، لها منها عليها شواهدُ[١]

ووجه عيب هذا البيت (كثرة التكرار، وتتابع الإضافات)، وهو مخل بالفصاحة –عند بعضهم– وأيضاً، فقد قال بعضهم: إنَّ هذا البيت بكلام الصوفية أشبه منه بالمدح".[٢]

وواضح أنّه ينكر تتابع أشباه الجمل الثلاث (لها، منها، عليها)، ونرى أنَّ المعنى الذي أنجزه الشاعر بهذه الإضافات المتتابعة، لا يتحقق إلا بها، فهذه الفرس لا تحتاج مقارنة بغيرها ليعرف حسنها وأصالتها، بل صفاتها الدالة على ذلك منها هي لا من غيرها، فذلك دليل على تفرُّدها على غيرها من الخيل.

عاب الصاحب كعادته قول المتنبي ساخراً: "وكنت أتعجب من كلام أبي يزيد البسطامي في المعرفة؛ وألفاظه المعقدة؛ وكلماته المبهمة، حتى سمعت قول شاعرنا هذا في وصفة فرس ... وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده:

فما للنوى جد النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعة لوصال

لو سلط الله على هذا البيت شاة لأكلت هذا النوى كله".[٣]

وكذلك عابه الحاتمي وجعله الأسوأ في قوله: "ومن أسوأ العبارة قوله يصف فرساً"[٤]

وتحدّث العسكري عن تجنب إعادة حروف الصلات فقال: "وينبغي أن تتجنّب إعادة حروف الصلات والرباطات في موضع واحد إذا كتبت ... فسبيله أن تداويه حتى تزيله بأن تفصل ما بين الحرفين، مثل أن تقول: أقمت به شهيدا عليه ؟؟؟، ولا أعرف أحداً كان يتتبّع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي، فإنه ضمّن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئا منها حتى تخطّى إلى هذا النوع ... فأتى من الاستكراه بما لا يُطارُ غُرابُه".[٥]

وأورده الثعالبي في ألفاظ المتصوفة فقال: "وَمِنْهَا امْتِثَال أَلْفَاظ المتصوفة، وَاسْتِعْمَال كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة فِي مثل قَوْله فِي وصف فرس" [٦]، وذكر بيت المتنبي.

---

(١) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٣٩٣/١.

(٢) تنبيه الأديب: ١٢٣.

(٣) الكشف عن مساوئ المتنبي، الصاحب بن عبّاد: ٥٢.

(٤) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره: ٤٧.

(٥) الصناعتين الكتابة والشعر: ١٦٠.

(٦) يتيمة الدهر: ٢١٣/١.

وقال أبو الفتح: "وقوله لها منها عليها شواهد، كأنه من كلام الصوفية، وهو صحيح".(١)

وعاب ابن سنان كذلك قبح تكرار الحروف التي تربط بعض الكلام، وتبع العسكري في ذلك وقال عن بيت المتنبي: " فذلك العيب الذي لا يتوجه عذر فيه".(٢)

وأورد ابن الأثير بيت المتنبي هذا في المعاظلة اللفظية وقال عنه: " فقوله: (لها منها عليها)، من الثقيل الثقيل الثقيل"(٣)

وذكر القزويني أن من شروط فصاحة الكلام هو خلوصه من كثرة التكرار وتتابع الإضافات(٤)

وعابه آخرون كالمؤيد بالله (ت٧٤٥هـ) وقال: "فقوله: لها منها عليها، من قبيح السبك وسوء التأليف، وما ذاك إلا لأجل تكرر أحرف المعاني فأكسبته هذا الثقل الذى تعافه النفوس".(٥)

وذكر بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ) أنَّ من شروط الفصاحة: "أن يكون خاليا من كثرة التكرار، وتتابع الإضافات".(٦)

ويعيب الحضرمي في موضع آخر قول المتنبي:

وما أنا وَحْدِي قُلتُ ذا الشِّعرَ كلَّهُ ولكن لِشِعري فيكَ من نَفسِه شِعْرُ(٧)

فيقول: "فيه تكرار: لفظ (شعر) من غير تحسين، ولا نكتة لطيفة تجوّز ذلك(٨)

(١) قشر الفسر، العميد أبو سهل محمد بن الحسن العارض الزَّوزَني (ت نحو ٤٤٥هـ): ١١٠/١.

(٢) سر الفصاحة: ١٠٥.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣٠٨/١.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٦/١.

(٥) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه: ٣١/٣.

(٦) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٨٤/١.

(٧) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٢٦٣/٢.

(٨) تنبيه الأديب: ١٣٢.

ومعنى البيت ممّا تفرّد به المتنبي، فشعره يتوالد حين يمدح ممدوحه فيزيد زيادةً ذاتية لا دخل للشاعر بها، أي أنني أقول فيك الشعر فتتوالى الأبيات ينتج بعضها بعضا، وهذا المعنى بديع لا كما قال النقاد ومنهم الحضرميّ.

ويعرض الحضرمي بيتاً آخر يعيب فيه قول المتنبي:

فتىً ألفُ جزءٍ رأيُه في زمانِهِ أقلُّ جُزَيءٍ بَعضُه الرَّأيُ أجمَعُ[١]

فيقول: "جمع في هذا البيت بين التعقيد وسوء الصنع في النظم، واعتقال المعنى، فإن فيه تقديماً وتأخيراً، وإن لم يرتب كلماته على الأسلوب النحوي، وإلا صعب فهمه وعسر الطريق إليه، وترتيب الكلام فيه: فتى رأيه في زمانه ألف جزء، أقلّ جزء من هذه الأجزاء الألف، بعضه– أي بعض الأقل– الرأي الذي في أيدي الناس كلهم، رحم الله أبا الطيِّب ! لم يأت بهذا المعنى إلا بعد أن يأبّى عليه الكلام ويعصى، وكان تركه أولى فإنَّ ترك الكلام عند تأبِّيه خير من تعاطي متعاصيه".[٢]

والبيت مذكور في (الرسالة الموضحة) فالحاتمي يقول: "ومن غثِّ الكلام ومستكرهه"[٣]، وذكر قول المتنبي.

وعابه ابن وكيع فقال: "هذا كلام ظاهر التعسف بيّن التخلف"[٤]، وعابه العسكريّ أيضاً وجعله من عيوب الغلو وقال: "ومن الغلو الغث"[٥]، وذكر قول المتنبي.

ووضعه الثعالبي في "استكراه اللفظ وتعقيد المعنى، وَهُوَ أحد مراكبه الخشنة الَّتِي يتسمنها وَيَأْخُذ عَلَيْهَا فِي الطّرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويتعب وَلَا ينجح".[٦]

وقال عنه عبد العزيز عتيق: أنّ فيه شيئاً "من التعقيد الناشئ عن التقديم والتأخير الذي اقتضاه الوزن".[٧]

---

(١) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٣٥١/٢.

(٢) تنبيه الأديب: ١٥٢.

(٣) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره: ٣٧.

(٤) المنصف للسارق والمسروق منه: ٢٩١.

(٥) الصناعتين الكتابة والشعر: ٣٦٤.

(٦) يتيمة الدهر: ١٩١/١-١٩٢.

(٧) علم البديع: ١١١.

ولا نعلم كيف أنكر النقّاد على المتنبي معناه هذا مع أنّ فيه غاية المدح ومنتهاه، فالجزء الصغير من أقل جُزيءٍ من بين ألف جزء مما عند الممدوح من الرأي يعدِلُ رأي الناس جميعاً، ولا رأي بعد هذا المدح برجاحة الرأي مدحا.

وفي موضعٍ آخر من كتابه قال الحضرمي: "ثم أنه بعد أبيات حسنة النظام أتى بما هو من هذا القبيل، فقال:

الطيبُ أنت إذا أصابك طيبُه والماءُ أنت إذا اغتسلت الغاسلُ[١]

معنى البيت: الطيب أنت طيبه، إذا أصابك، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت، فارتكب هذا التعقيد؛ لأجل هذا المعنى الذي أخذه من الغير ولم يفِ به".[٢]

وممن انتقد هذا البيت الجرجاني حيث وصفه بـ "تعسف اللفظ"[٣]، وتبعه الثعالبي فوصف البيت بالتعسّف في اللفظ أيضا، ووضعه تحت عنوان "اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء".[٤]

وذكر المعري في شرحه لهذا البيت أنَّ تقدير الكلام: "الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به"[٥]

وكذلك ذكر عبد القاهر الجرجاني مجموعة أبيات ومنها بيت المتنبي هذا وقال: "وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم، وعابوه من جهة سوء التأليف، أن الفساد والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب، وصنع في تقديم أو تأخير، أو حذف وإضمار، أو غير ذلك".[٦]

نقل الحضرمي كلام العكبري دون الإشارة إليه، ووجدنا أن شرح البيت متشابه عند أغلب شرَّاح الديوان.

---

(١) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٣/٣٧٧.

(٢) تنبيه الأديب: ١٨٣.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٣٩٠.

(٤) يتيمة الدهر: ١/١٨٩.

(٥) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي: ١٠٠٦.

(٦) دلائل الإعجاز، تحقيق: هنداوي: ٦٢.

وفي شاهد آخر من شواهد هذا المعيار، يعيب الحضرمي قول المتنبي:

إذا عَذَلُوا فيها أجَبتُ بأنّةٍ حُبَيِّبَتا قلبا فؤاداً هَيَا جُمْلُ[١]

فيقول: "قال بعضهم: في فهم هذا البيت عسر وصعوبة، وعدم دلالة على المراد، وكأن قائل هذا لم يحسن العربية، وإلا لو أحسنها لما صعب عليه فهمه".[٢]

والمعنى: إذا لاموني فيها، وفي حبها، أجبت بأنّة، والأنّة: الأنين ... وأصل حبيّبتا: يا حبيبتي، ثم صغرها للتقريب من قلبه ثم أبدل الياء ألفا في النداء بعد حذف حرف النداء، فصار (حُبيِّبتا)"، وكذا في قلبا فؤادا.[٣]

وأراد بذلك: "يا حبيبتي، يا قلبي، يا فؤادي، يا جُمْلُ، وأبدل كلا مما قبله بدل كل من كل، فجعل كلامه كله نداء بعد نداء، وبالجملة فلا يخلو هذا البيت من تعقيد".[٤]

ونجد الحاتمي قد انتقد هذا البيت حيث ذكر ساخراً أنَّه: "من مستغلق كلامه وجافي تشبيبه قوله"[٥] وذكر بيت المتنبي.

وقال عنه ابن وكيع: "هذا ترفق جاف متكلف ومتفاصح متعجرف وليس هذا مما يطلب له استخراج سرقة"[٦]

وكذلك عابه الثعالبي ووضعه تحت عنوان "استكراه اللَّفْظ وتعقيد الْمَعْنى وَهُوَ أحد مراكبه الخشنة الَّتِي يتسنمها وَيَأْخُذ عَلَيْهَا فِي الطّرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويتعب وَلَا ينجح"[٧]

ووضع ابن سنان بيت المتنبي هذا تحت عنوان الكلام في الفصاحة وقال: "فأمّا الأسماء التي لم ينطق بها إلا مصغرة كاللجين والثريا وما أشبههما فليس للتصغير فيهما حسن يذكر ... ولا أختار التصغير في قول أبي الطيب ... لأنه عار من الوجه الذي ذكرته".[٨]

---

(١) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٢٩٨/٣.

(٢) تنبيه الأديب: ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠١.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠١.

(٥) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره: ٤٦.

(٦) المنصف للسارق والمسروق منه: ٣٣٠.

(٧) يتيمة الدهر: ١٩١/١.

(٨) سر الفصاحة: ٩٠-٩١.

وتحدّثَ الدكتور شوقي ضيف عن بيت المتنبي هذا وقال: "فإنك ترى اختلاطًا في الشطر الثاني، وليس لهذا الاختلاط من مصدر سوى أن المتنبي أكثر من النداء ... وهو إكثار أوقعه فيه تصنعه لأساليب المتصوفة التي تعتمد على ألفاظ الكشف والمشاهدة"[١]، وفي موضع آخر يقول عنه: "فنحن نراه يصغر: حبيبته، تصغير تعظيم".[٢]

وفي شاهد آخر يعيب الحضرميُّ قول المتنبي في المخلص:

ضنى في الهوى كالسُّمِّ في الشَّهدِ كامنا لَذِذْتُ به جهلاً وفي اللذّةِ الحتفُ

فأفنى وما أفنته نفسي كأنَّما أبو الفرج القاضي له دونها كهفُ[٣]

ويقول: "فإنّ في لفظه تعقيداً وفي فهمه صعوبة، لعدم دلالته على المعنى المراد وهو مخلص مستكره، وهكذا قال بعضهم، ولا يخلو من مشاحَّة، والمعنى يقول أفنى الضنى نفسي، وما أفنَته، كأنَّ الممدوح كهف/له دون نفسي، فليست تقدر على افنائي !! وهذا المعنى ليس بشيء".[٤]

وفي القصيدة التي أولها:

وفاؤكما كالربعِ أشجاهُ طاسِمُه بأن تُسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُه[٥]

يقول الحضرمي: "هذا المطلع في غاية ما يكون من التعقيد والتكلف والتعسف، أو لا ترى لصوارم الأفهام عن تصوره معناه نبوة، ولجياد الأفكار عند تفهمه كبوة، وبعد إجهاد الفكر فيه، وكد الفهم عليه، لا يحصل منه على طائل".[٦]

ثمّ ذكر لغته وإعرابه ليفهم معناه فقال: "ولنذكر لغته وإعرابه ؛ ليلوح في أفقه المظلم نوره، وتفوح من شذا روض الراوي نوره، فنقول: الباء في (بأن) متعلقة بفعل محذوف يدلُّ عليه قوله: (وفاؤكما)".[٧]

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣١٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢٠.

(٣) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٢٥/٣.

(٤) تنبيه الأديب: ١٦١-١٦٢.

(٥) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي: ٤٣/٤.

(٦) تنبيه الأديب: ٢٢٠-٢٢١.

(٧) المصدر نفسه: ٢٢١.

وذكر الحضرميُّ بعد ذلك أنّ تقدير الكلام: وفيتما بالإسعاد، "والطاسم: الدارس والطامس (مثله)، وأشجاه: أشد شجواً، كما يقال: أحزنه وآسفه، وهو اسم، والفعل منه: شجاه".(١)

وقال أيضا: وبعد معرفة لغته وإعرابه، "فللناس بعد ذلك اختلاف كثير واضطراب كبير؛ لعدم دلالة اللفظ على المعنى المراد منه إلا بتقدير وحذف وتقديم وتأخير، وهو إن كان جزل اللفظ، عذبه، فتراه عسر فهم المعنى (صعبه)".(٢)

وبعد ذلك ذكر الحضرميّ تفسيرات ومعان كثيرة وتأويلات عديدة لبيت المتنبي، واختار منها أحسن ما قيل في البيت –سأكتفي بذكره لأنه أشار إليه ولم يشر لغيره واكتفى بكلمة (وقيل)– وهو ما قاله صاحب المغنى –كما ذكره الحضرمي–:

"وأحسن ما قيل في معناه ما قاله صاحب المغني وهو: وفاؤكما يا صاحبيّ بما وعدتماني به من الإسعاد بالبكاء عند ربع الأحبة، إنما يسليني إذا كان بدمع ساجم أي: هامل، كما أنَّ الربع إنما يكون أبعث على الحزن، إذا كان دارسا".(٣)

ثمّ قال: "وهذا معنى صحيح لو ساعدت ألفاظ البيت عليه من غير تكليف ... وموجب الاختلاف في معناه الاختلاف في اعرابه، ولله درُّ سيف الدولة، حيث قال عند انشاد هذا البيت: (يحتاج أن يكون سيبويه على منشده، وكلما أنشده أعربه له)".(٤)

وممن عالج هذا البيت أيضاً الجرجانيّ، حيث ذكر بيت المتنبي، وتحدّث عمّا قاله خصومه فيه فقال: "احتملنا له ما قدّمناه على ما فيه من فنون المعايب، وأصناف القبائح؛ كيف يُحتمل له اللفظُ المعقّد، والترتيب المتعسَّف لغير معنى بديع يفي شرفُه وغرابتُه بالتعب في استخراجه، وتقوم فائدة الانتفاع بإزاء التأذي باستماعه"(٥)، وبعد ذكر بيت المتنبي يكمل القاضي الجرجانيّ حديثه ويقول: "ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة، والتعقيد المُفرط، فيشك أن وراءَها كنزاً من الحكمة، وأن في طيّها الغنيمة الباردة؛ حتى إذا فتّشها، وكشف عن سترها، وسهِر ليالي متوالية فيها حصل على أن وفاء كما يا عاذليّ بأن تُسعِداني إذا درس شجاي، وكلما ازداد تدارُساً ازددت له شجْوا؛ كما أن الربع أشجاه دارسُه".(٦)

---

(١) تنبيه الأديب: ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٢١.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ): ٧٠١. وينظر: تنبيه الأديب: ٢٢١.

(٤) تنبيه الأديب: ٢٢٢.

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني: ٩٨.

(٦) المصدر نفسه: ٩٨.

ثم أكمل قوله في أنّ المعنى لا يستحقّ كل هذا العناء والمشقة وقال: "فما هذا من المعاني التي يضيع لها حلاوة اللفظ، وبهاء الطبع، ورونق الاستهلال، ويشح عليها حتى يهلهِل لأجلها النَسْج، ويفسِد النظم، ويفصِل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه، ويقدّم ويؤخّر، ويعمّي ويعوّص!"(١).

وذكر بعد ذلك تقدير الكلام، ونقد البيت بموضوعية ودقة متناهية ومعالجة مناسبة وقال: "ولو احتمل الوزن ترتيب الكلام على صحته فقيل: وفاؤكما بأن تسعِدا أشجاه طاسِمُه كالربع، أو وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه، لظهر هذا المعنى المضْنون به، المتنافَس فيه؛ فأما قوله: والدمعُ أشفاه ساجمُه فخطاب مستأنَف، وفصلٌ منقطِع عن الأول، وكأنه قال: وفاؤكما والربع أشجاه ما طسم، والدمع أشفاه ما سجَم".(٢)

وعابه الثعالبي ووضعه تحت عنوان قبح المطالع وقال: "وَكَقَوْلِه وَهُوَ مِمَّا تكلّف لَهُ اللَّفْظ المتعقد وَالتَّرْتِيب المتعسف لغير معنى بديع يَفِي شرفه وغرابته بالتعب فِي استخراجه وَلَا تقوم فَائِدَة الِائْتِفَاع بِهِ بِإِزَاءِ التأذي باستماعه".(٣)

والبيت ذكره العميدي، وانتقده أشدّ انتقاد فقال: "والله لو أوقد الإنسان ألف شمعة ليستضيء بنورها إلى استنباط غوامض هذا البيت مع قلة الفائدة فيه لصعب عليه".(٤)

وذكر ابن رشيق "أنه ربما عقد أوائل الأشعار ثقة بنفسه، وإعراباً عن الناس كقوله أول القصيدة ... فإن هذا يحتاج الأصمعي إلى أن يفسر معناه".(٥)

وأورد ابن سنان بيت المتنبي وعابه وقال أنّه أراد: "وفاؤكما بان تسعدا كالربع أشجاه طاسمه ففصل وقدم وأخر".(٦)

وذكر عبد القاهر الجرجاني بيت المتنبي ثمَّ قال: "وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم، وعابوه من جهة سوء التأليف، أنَّ الفساد والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب، وصنع في تقديم أو تأخير، أو حذف وإضمار، أو غير ذلك"(٧).

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني: ٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ٩٨.

(٣) يتيمة الدهر: ١٨٢/١.

(٤) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى: ٩٦.

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢٣٩/١.

(٦) سر الفصاحة: ١١٤.

(٧) دلائل الإعجاز: ٦٢.

وذكر الدكتور شوقي ضيف قول المواعيني[١]، الذي أورد بيت المتنبي كمثال على عيوب الكلام التي يجب اجتنابها فقال:

"وفي تأليف الكلام لابد من تجنب المعاظلة، وان يضع الأديب الألفاظ في مواضعها دون تقديم وتأخير يؤديان إلى فساد الكلام أو اضطراب إعرابه".[٢]

والذي نراه في هذا المطلع أنّه مقصود على هذه الصورة؛ لأنّ خصوم المتنبي في مجلس سيف الدولة كان كنهم النحاة واللغويون أمثال ابن خالويه، وأبو الطيب اللغويّ، وأبو علي الفارسيّ، وأبو عثمان بن جني، فكان المتنبي يتعمّد هذه التراكيب الصعبة ليثبت لهم أنّه متفوق عليهم في ميدانهم.

(١) هو أبو القاسم محمد بن إبراهيم ابن خيرة المواعيني (ت٥٦٤هـ)، وهو قرطبي سكن اشبيلية، وكتب عن أميرها أبي حفص، وله من المؤلفات: كتاب الأمثال، وكتاب الوشاح المفصل، وكتاب ريحان الألباب وريعان الشباب. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. شوقي ضيف: ٥١٣.

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، شوقي ضيف: ٥١٦.

الخاتمة

١. يؤخذ على الحضرمي أنه كان يعرض آراء النقاد دون الإشارة إليهم مكتفيا أحيانا بقوله: (قال بعضهم) أو (لبعضهم)، وفي أحيان أخرى ينقل فقرات أو عبارات بأكملها دون أن يشير إلى قائلها، وقد راجعنا أحكامه وعرضناها على سابقيه، وبيّنا عدم أمانته في مواضع متعددة من الرسالة.

٢. مما يؤخذ عليه كذلك أنه في مقدمته ذكر أن محاسن الشعر ومعايبه انَّما تقاس بتحقق معايير الفصاحة؛ لكنه لم يطبق أيّاً من تلك المعايير على ما استحسنه من شعر المتنبي، بل يكتفي بعبارات فضفاضة غير علمية نحو: (غالبها غرر ومحاسن) أو (غالبها درر) من غير تعليل، أو تفصيل في موجبات هذا الحكم.

٣. كثيرا ما يُدخِل الحضرمي في نقده المعايير الدينية والأخلاقية، كسوء الأدب والابتذال والسقوط عن ألفاظ الحشمة، والإفراط، وقبح الأخلاق، وسوء المخاطبة، وعلى الرغم من أن النقد ينبغي أن يكون بالمعايير الفنية؛ إلا إن الحضرمي كان موفقا في نقده لعدد من أبيات المتنبي التي وجدنا فيها تجاوزا على الثوابت الدينية التي يجب الاحتراز من تجاوزها، وقد أشرنا الى بعض تلك الابيات في صفحات الرسالة.

٤. أثنى الحضرمي في مقدمة كتابه على المتنبي وشعره بعبارات حشد فيها الكثير من الاستعارات، والكنايات، لكنه في التطبيق لم يقف طويلا عند محاسن شعر المتنبي، كما إنه لم يدافع عنه، وكثيرا ما نقل طعون النقاد فيه وفي شعره، وفي هذا الامر نوع من التناقض بين تنظير الكتاب وتطبيقه.

٥. على الرغم من أن الحضرمي ادّعى في مقدمة كتابه أنه سينظر الى ابيات المتنبي نظر المبتدع لا المتّبع؛ إلا أنه لم يستطع أن يخرج في معظم نقده التطبيقي عما قاله السابقون، بل قصّر –على الأغلب– عمّن سبقه من حيث تفصيل الاحكام وتعليلها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى عليه وسلّم تسليما

ثبت المصادر

- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى، محمد بن أحمد بن محمد العميدي، أبو سعد(ت٤٣٣هـ) تقديم وتحقيق وشرح: إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، القاهرة – مصر، ١٩٦١م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ) تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل-بيروت، ط٣.
- البديع في نقد الشعر، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت٥٨٤هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة-وزارة الثقافة والإرشاد القومي-الإقليم الجنوبي-الإدارة العامة للثقافة.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف-مصر، ط١، ١٩٦٠-١٩٩٥م.
- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت٥٦٢هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيِّب من الحسن والمعيب، عبدالرحمن بن عبدالله باكثير الحضرمي (ت٩٧٥هـ)، تحقيق ودراسة: د. رشيد عبد الرحمن صالح، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

- الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ-٧١٠هـ)، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.
- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح المشكل من شعر المتنبي، علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٦م.
- شرح الواحدي لديوان المتنبي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، ضبطه وشرحه وقدم له وعلق عليه وخرّج شواهده، د. ياسين الأيوبي، د. قصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٩٩٩م.
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت نحو٣٩٥هـ)، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية-بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- علم البديع، عبد العزيز عتيق (ت١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، د ط.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي-القاهرة.
- الفتح على أبي الفتح، محمد بن حَمَد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فُورَّجَة البروجردي (ت نحو ٤٥٥هـ)، المحقق: عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-العراق، ط٢، ١٩٨٧م.
- الفسر، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جني النحوي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق الدكتور رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت١٤٢٦هـ)، دار المعارف بمصر، ط١٢.
- قَشْر الفَسْر، العميد أبو سهل محمد بن الحسن العارض الزَّوزَني (ت نحو ٤٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة، طبعة: ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الكشف عن مساوي شعر المتنبي، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
- اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ)، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر-بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة-القاهرة.

- معجز أحمد (شرح لديوان المتنبي)، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (ت٤٤٩هـ).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكَّاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
- المنصف للسارق والمسروق منه، الحسن بن علي الضبّي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (ت٣٩٣هـ)، حققه وقدم له: عمر خليفة بن ادريس، جامعة قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.
- النظرات، مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المَنْفَلُوطي (ت١٣٤٣هـ)، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.